

الفروق في تأثير 'دوامة الصمت' لدى الفرد بين هويته الحقيقية وهويته المستعارة عبر منصة X في المجتمع السعودي: دراسة وصفية مقارنة على طلبة جامعة أم القرى بمدينة مكة المكرمة.

الإشكالية البحثية للدراسة:

بدأ الاهتمام العلمي المنهجي بفهم كيفية تشكّل الرأي العام وتأثير الضغوط الاجتماعية على الفرد منذ منتصف القرن العشرين، إلا أن المحطة الأبرز التي أحدثت ثورة في هذا المجال كانت في عام ١٩٧٤م، عندما قدمت عالمة الاجتماع الألمانية إليزابيث نويل نيومان نظرية دوامة الصمت. انطلقت النظرية من فرضية نفسية عميقة مؤداها أن الأفراد يمتلكون ما أسمته بالحاسة شبه الإحصائية؛ وهي رادار فطري يمكّنهم من رصد اتجاهات الرأي العام السائدة في محيطهم. وبناءً على نتائج هذا الرصد، يدخل الفرد في عملية تقييم للمخاطر: فإما التعبير عن رأيه إذا شعر بانسجامه مع التيار الغالب، أو اللجوء إلى الصمت الانسحابي إذا استشعر أنه يتبنى رأي الأقلية؛ وذلك اتقاءً للعزلة الاجتماعية التي تعتبرها النظرية المحرك الأقوى للسلوك البشري.

ففي تلك الحقبة، كانت الدوامة تعمل في بيئة اتصالية خطية تسيطر عليها وسائل الإعلام التقليدية، وكان الصمت يمثل درعاً وقائياً للحفاظ على شبكة العلاقات الواقعية. ومع بزوغ عصر منصات التواصل الاجتماعي، وخاصة منصة X التي تعد المركز النابض للنقاش العام في المجتمع السعودي، انتقلت دوامة الصمت إلى فضاء سيبراني لا نهائي، حيث بات الرأي العام يُهندَس عبر الترنندات وخوارزميات التوصية التي تخلق غرف صدى تعزز من سطوة الأغلبية الافتراضية.

هذا التحول الجذري أدى إلى إعادة تعريف مفهوم العزلة وتوسيع رقعة المخاوف؛ فالعزلة اليوم في المجتمع السعودي الرقمي لم تعد تقتصر على تجنب المقربين، بل تطورت لتشمل الإلغاء الرقمي أو التبعات المهنية التي قد تترتب على منشور واحد يكسر إطار المتوقع اجتماعياً. وهنا يبرز مفهوم انهيار السياق كعامل ثانوي مفسر لزيادة حدة هذه الدوامة؛ حيث يجد المستخدم نفسه في هويته الحقيقية أمام جمهور مدمج يجمع بين مختلف دوائره الاجتماعية، مما يضاعف من خشية الوقوع في فزاعة العزلة التي نادى بها نيومان.

ورغم تطور الدراسات التي أخضعت دوامة الصمت للفحص في البيئة الرقمية، إلا أن هناك فجوة معرفية ملحوظة تبرز عند النظر إلى سلوك الفرد الواحد؛ حيث ركزت معظم الأدبيات السابقة على المقارنة بين مجموعات مستقلة، متجاهلةً الحالة السائدة لدى المستخدم السعودي المعاصر الذي يدير ذاتين رقميتين متوازيتين للتعامل مع ضغوط الدوامة:

١. الهوية الحقيقية: التي تمثل الواجهة الاجتماعية الرسمية الممتثلة للقيود، والتي يمارس فيها الفرد أعلى درجات الرقابة الذاتية خشية العزلة الاجتماعية والمهنية، خاصة في ظل تداخل السياقات الاجتماعية المعلنة.
٢. الهوية المستعارة: التي تمثل الملاذ الآمن والذات المتحررة؛ حيث يجد الفرد مساحة لكسر الصمت والجهر بآرائه الحقيقية بعيداً عن ضغوط العزلة الواقعية، وذلك من خلال عزل ذاته رقمياً عن جمهوره الواقعي.

إن هذا التناقض الصارخ في السلوك الاتصالي للشخص نفسه يعيد صياغة دوامة الصمت من كونها قوة قمعية مطلقة إلى كونها قوة انتقائية يتغير تأثيرها بتغير قناع الهوية الذي يرتديه الفرد. لذا، تبرز الحاجة العلمية الماسة لرصد وفهم هذا التباين السلوكي؛ للتعرف على المدى الذي تساهم فيه الهوية المستعارة في تحرير المستخدم السعودي من سطوة الدوامة مقارنة بالقيود التي تفرضها هويته المعلنة.

وبناءً على هذا التحليل، يمكن بلورة إشكالية الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:

إلى أي مدى يتباين تأثير دوامة الصمت على التعبير عن الرأي لدى المستخدم السعودي في منصة X عند المقارنة بين سلوكه عبر هويته الحقيقية وسلوكه عبر هويته المستعارة؟

ويتفرع منه التساؤلات التالية:

١. ما مستوى إدراك طلبة جامعة أم القرى للمناخ العام عبر منصة X تجاه القضايا المثيرة للجدل؟
٢. ما مدى ممارسة الرقابة الذاتية -الصمت- لدى عينة الدراسة عند استخدام الهوية الحقيقية مقارنة بالهوية المستعارة؟
٣. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستويات ممارسة دوامة الصمت بين الذكور والإناث عند استخدام الهوية الحقيقية في منصة X؟
٤. ما هي الدوافع الاجتماعية والنفسية المرتبطة بانهيار السياق التي تدفع المستخدم للصمت عند الظهور بهويته الحقيقية؟
٥. كيف تساهم الهوية المستعارة في تقليل الخوف من العزلة الاجتماعية لدى المستخدم عند التعبير عن آراء معارضة للأغلبية؟
٦. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في السلوك الاتصالي للفرد الواحد تعزى لاختلاف نوع الهوية الرقمية (حقيقية مقابل مستعارة)؟

فروض الدراسة:

١. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في ميل مستخدمي منصة X للتعبير عن آرائهم بين حالة استخدام الهوية الحقيقية وحالة استخدام الهوية المستعارة لصالح الهوية المستعارة.
٢. يزداد ميل المستخدمين لممارسة الصمت الاختياري في الهوية الحقيقية كلما أدركوا أن آراءهم تتعارض مع توجهات الأغلبية عبر منصة X.
٣. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مستوى إدراك انهيار السياق، حيث تميل الإناث لممارسة الرقابة الذاتية بشكل أكبر في الهوية الحقيقية نتيجة تداخل السياق العائلي مع الفضاء الرقمي.
٤. توجد علاقة طردية بين مستوى إدراك المستخدم لانهيار السياق في الهوية الحقيقية وبين ممارسته للرقابة الذاتية.
٥. يساهم استخدام الرموز البصرية والأسماء المستعارة في تعزيز الشعور بالأمان الرقمي، مما يؤدي إلى كسر دوامة الصمت مقارنة باستخدام الصور الشخصية الحقيقية.
٦. تنخفض حدة الخوف من العزلة الاجتماعية بأبعادها الرقمية والواقعية بشكل ملحوظ لدى المستخدم عند التحول من الهوية الحقيقية إلى الهوية المستعارة.